مدرسة الاسكندرية

لهذه المدرسة ذكرٌ جليلٌ في التاريخ وشهرةٌ لا يجهلها احدٌ من المتأدبين وارباب المطالعة وقد كانت لعهدها مُنبثَق انوار العلم في العالم كله وخرج منها عددٌ كبيرٌ من الفلاسفة والكتّاب وواضعي العلوم ومكتشفي اسرار الطبيعة ممن لا تزال تصانيفهم الى اليوم مورداً تستمدّ منهُ الافهام والاقلام ونحن آتون من تاريخها على لُمعةٍ نذكر فيها اصل منشإِها وما نجم عنها من الفوائد الى ان اخنى عليها الدهر وطمس آثارها

وقد كان تأسيس هذه المدرسة لعهد بطلميوس الاول المعروف بسُوطَر ابن لاغوس وهو احد القوّاد الاربعة الذين خلفوا الاسكندر الكبير على ملكهِ سنة ٣٢٣ قبل الميلاد وانشأ هذه المدرسة سنة ٢٨٠ من التاريخ المذكور . قالوا وكان شديد الاعجاب بمولاهُ الاسكندر وكان يتقيَّلهُ في كل شيء حتى في حركاتهِ فاقتنى اثرهُ في رفع منار العلم وكان هو ايضاً من الكتاب المجيدين ولهُ مصنفٌ في تاريخ فتوح الاسكندر . فحشد اليهِ العلمآء والفلاسفة وحملة الاقلام من جميع اطراف البلاد واخلى لهم جانباً من قصرهِ يأوون اليهِ ويجعلونهُ معهداً للتدريس والالقآء واجرى عليهم الارزاق الواسعة فلم تلبث الاسكندرية لعهدهِ ان خلفت اثينا بعد ان عفت مدارس بلاد اليونان فاصبحت محطّاً لرحال العلمآء والدارسين من كل صوب ولبثت على ذلك مدة سبعة قرون وهي في اعلى مراقي الشهرة والفلاح

وكان في هذه المدرسة مكتبةٌ عظيمة لم يكن لها نظيرٌ في مكاتب الدنيا

جمع فيها نفائس الكتب ونوادرها من بلاد اليونان واطراف مصر وآسيا وبذل فيها ما لا يحصى من الاموال ولم يزل خلفآؤهُ من بعدهِ يزيدون فيها حتى بلغت سبع مئة الف مجلد . وكان في جملة غُرَف المكتبة ردهةٌ للمطالعة والتأليف مباحةٌ لكل داخل ويستفاد من كلام فيلستراتس انهُ كان في حوزة المدرسة بستانٌ مخصوص لدرس اصناف النبات ومعرضٌ للحيوان وآخر للمعادن وكانت نفقات ذلك كلهِ من بيت مال الأُمة

وكان من مشاهير رجال هذه المدرسة واساتذتها الاولين اقليدس الرياضيّ المشهور فانهُ ادركها من اول تأسيسها فكان من اعظم دعائمها واسباب شهرتها ونمآئها . واقليدس هذا هو اول من جمع الرياضيات وبوّبها وقيّد كل فرع منها باصولٍ وقواعد وقد دوّنها في خمسة عشر كتاباً سماها الاصول منها كتابهُ المشهور في الهندسة الذي لا يزال مرجع اهل هذا العلم الى اليوم . وممن وُجد فيها من مشاهير ذلك العصر فيلِتاس الشاعر وديودور كرونس من علمآء المنطق وثاودورس الفيلسوف الذي كان يلقب بالجاحد لانهُ جحد آلهة الشرك عند اليونان وارسطرخوس الفلكيّ الرياضيّ من خرّيجي استراتون وهو احد الذين قالوا بدورتي الارض على محورها وحول الشمس ولهُ تأليف في حجم الشمس والقمر ومسافتها وهو باقٍ الى اليوم

وخلف بطلميوس المذكور ابنهُ بطلميوس الثاني المقلب بفيلادلفوس وهو من اعظم الملوك البطالسة وكان تلميذ استراتون فقضى على سنن والدهِ في توثيق اسباب العلم والاحتفآء باهلهِ وقرّب اهل العلم من المصريين واليهود وهو الذي انشأ المعاهد المخصوصة للبحث في علم المواليد الثلاثة مما

تقدم ذكرهُ . ومن آثارهِ تدوين تاريخ مصر القديم باللغة اليونانية وضعهُ لهُ مناتون احد كهنة هليوبوليس (وهي المطرية اليوم) اخذاً عن السجلات المقدسة في هيكل المدينة المذكورة وبامرهِ نُقلت اسفار التوراة الى اليونانية لمنفعة اليهود لانهُ كان في مصر امةٌ كبيرة منهم قد نسي اكثرهم اللسان العبري لطول الاسر والاسترقاق فجمع لهذه الترجمة سبعين رجلاً من علمآئهم العارفين باللغتين ولذلك سميت هذه النسخة بالسبعينية

وممن نبغ لعهدهِ اراتُستان الفلكيّ الشهير وهو اول من راقب ميل دائرة البروج واول من قاس مساحة الدرجة من الارض على ما تقدم لنا شرحهُ في الجزء السابع عشر من البيان . ومنهم ارخميدس السَرَقُسطي المشهور وهو احد الذين تلقوا عن اقليدس ولهُ عدّة تصانيف منها في الكرة والاسطوانة وفي الجسم الكرويّ والمخروط ومساحة الدائرة ومنها في اللولب ومركز الجذب وزنة الاجسام في السوائل وغير ذلك . وهو مخترع اللولب الغير المتناهي واللولب الاجوف المعروف بلولب ارخميدس الذي تزح بهِ مستنقعات النيل ومخترع البكرة البسيطة والبكر المركبة ويقال انهُ احرق سفن مرشلُس عند حصارهِ لسَرَقُسطة بواسطة المرآة المقعرة . ومنهم هبَّرخوس وهو اعظم علمآء الهيئة لذلك العهد حدد طول السنة الشمسية واكتشف مبادرة الاعتدالين وطبّق الهندسة على الهيئة ووضع علم مساحة المثلثات واخترع طريقة رسم المجسمات وارشد الى تعيين مواقع البلدان بقياس الطول والعرض وقاس بُعد الشمس والقمر من الارض وعمل الزيج المشهور للثوابت ودلّ على حركات السيّارة والكسوف والخسوف لمدة ٦٠٠ سنة

وهو الذي صنع اول اسطرلاب وترك عدة تصانيف في الهيئة والهندسة ٠ ومنهم ابولونيوس خطا على اثر اقليدس فتوصل الى قواعد قطع المخروط ولهُ كتابٌ فيهِ عُرّب في زمن المأمون وشرحهُ كثيرٌ من العلمآء وهو كتابٌ جليل يشتمل على اختراعاتٍ ومسائل عجيبة ٠ ومنهم ارازستراتوس وهيروفيلوس وهما واضعا علم التشريح لانهما اول من شرّح جسماً بشرياً

ثم انهُ بعد بطلميوس هذا قامت الفتن على ساقها وكثر الهرج بين الرعية وتوالت الثورات الى عهد بطلميوس السابع وكانت بينهُ وبين اخيهِ بطلميوس السادس المعروف بفيلوماتور مشاحاتٌ على الملك في حديثٍ ليس هنا موضعهُ فقتل جميع رهطهِ واكثر من التنكيل في اشياع اخيهِ فيلوماتور وكان لهُ حاميةٌ من الاجانب فاشتدت وطأتهم على اهل الاسكندرية فهاجروا منها وتشتتوا في كل وجه حتى ذكر احد المؤرخين ان هذه المدينة اصبحت خاويةً ولم يبقَ فيها الا بطلميوس ورجالهُ ٠ فكان ذلك سبباً لانتشار العلم في بلاد اليونان وآسيا الصغرى لان كل من كان في الاسكندرية من العلمآء لجأوا الى هاتين البلادين فتجددت فيهما معاهد العلم على حد ما حدث في ايطاليا بعد تشتت اليونان عند فتح القسطنطينية

وبعد ان أقوت هذه المدرسة حيناً من الدهر على يد هذا الملك عادت فعمرت معاهدها على يدهِ ايضاً وذلك بعد ان اقشعت عنهُ سحب المخاوف وخلا لهُ الجوّ فبثّ رسلهُ من اهل العلم في كل وجهٍ للبحث عن نفائس الكتب وجمع مكتبةً جليلة جعلها في هيكل سرابيس بالقرب من المدرسة ٠ وقد كان لهذا الملك مشاركةٌ في العلوم الادبية والفلسفية ولهُ مصنفٌ في

التاريخ وشرحٌ على اشعار اوميروس · ومن آثارهِ توجيه بعثٍ للكشف عن الشواطئ الهندية سيّرهُ تحت قيادة رجلٍ من اخصآئهِ يقال لهُ هودشيش وكان ممن يحسنون الارصاد الفلكية وتخطيط الاراضي فطاف حول افريقيا وخطط ما في البحر الهندي من الجزُر والبلدان وهي اول بعثةٍ علمية مصرية

وفي تلك الأثنآء انشأ ملوك برغاما من آسيا الصغرى مدرسةً عارضوا بها مدرسة الاسكندرية وجمعوا فيها مكتبةً عظيمة فحظر بطلميوس المذكور اخراج ورق البَرْديّ من الديار المصرية فكان ذلك سبباً في استنباط عمل الرقّ من جلد الحيوان وكان اول صنعهِ في برغاما فسمي بالورق البرغامي ومنهُ أُخذ اسم الرقّ (*Parchemin*) في اللغات الافرنجية

ومع بذل الملك غاية ما في طوقهِ للرجوع بالمدرسة الى مثل حالتها السابقة فان توالي الفتن والمشاغب حال دون تمام امنيتهِ فلم تزل المدرسة في تراجعٍ وانحطاط الى ان اشفت على الدمار · على انهُ خرج منها في تلك الاثناء عدةٌ من مشاهير العلمآء منهم انطيوخوس الفيلسوف خريج فيلون وكان زعيم المجمع العلمي الذي انشئ اذ ذاك · ومنهم اودُكس الرحّالة الذي طاف حول شواطئ افريقيا وسوزيجانوس الفلكي الشهير الذي صحح الحساب السنوي بايعاز يوليوس قيصر واكتازيبيوس الرياضي احد الذين اشتغلوا بتصحيح الساعة المآئية على ما سبق لنا ذكرهُ في احد اجزآء السنة الماضية وقد كان من البارعين في علم الحِيَل (الميكانيك) وهو مخترع طلمبة الجذب والضغط المعروفة باسمهِ ومنهم هيرون الرياضي الطبيعي خريج اكتازيبيوس المذكور وقيل ابنهُ وهو اول من امتحن ضغط السوائل ومن مخترعاتهِ الآلة

المنسوبة اليهِ المعروفة بفوّارة هيرون وهي مركبةٌ من انابيب يرتفع بها المآء الى ما فوق مؤازاة سطحهِ بواسطة ضغط الهوآء بالمآء نفسهِ وكان عالماً كبيراً في الرياضيات ولهُ عدة تصانيف لا يزال بعضها الى اليوم

وكان في اعقاب ذلك ان ورد يوليوس قيصر على الديار المصرية في خطبٍ طويل لا محل لذكرهِ هنا ونشبت الفتنة بينهُ وبين بعض قواد الجيش المصري فحاصروهُ في الاسكندرية وكان اسطولهُ راسياً في مينآئها فامر باحراقهِ لئلاً يستولي عليهِ الجيش فتطايرت نيرانهُ الى قصر البطالسة واحرقت دار الكتب وكان فيها ٥٠٠ الف مجلد فذهبت باسرها طعمةً للنار وذلك نحو سنة ٤٨ قبل الميلاد . على انهُ لم يلبث ان عوّض جانبٌ من هذه المكتبة بالكتب التي وهبها مرقس انطونيوس لكليوبطرا بعد استيلآئهِ على آسيا وبلاد اليونان سنة ٤٢ وهي الكتب التي جمعها ملوك برغاما على ما تقدم ذكرهُ وكان عددها مئتي الف مجلد فكانت بعد ذلك نصيباً للرومان

واما المدرسة فانهُ بعد ما بسط الرومان ايديهم على مصر سنة ٣٠ قبل الميلاد ازدادت انحطاطاً ولم يبقَ فيها من العلوم ما يُعتدّ بهِ سوى علمي الهيئة والجغرافية . واشهر من يُذكر من رجالها في ذلك العصر استرابون وبطلميوس وكان الاول من علمآء الجغرافية ولهُ فيها مصنفٌ جمع فيهِ بين الجغرافية والتاريخ في ١٧ مجلداً اكثرهُ باقٍ . واما بطلميوس فكان اعظم شهرتهِ في علم الهيئة ولهُ فيهِ كتاب المجسطى المشهور جمع فيهِ ما تفرّق من علم السلف واضاف اليهِ ما ادركهُ بنفسهِ وقد عُرّب هذا الكتاب في زمن المأمون واشتغل بهِ كثيرٌ من العلمآء ونُقّح وشُرح عدة مرار ونُقل بعد ذلك

الى لغات اوربا ولم يبرح المرجع الوحيد لاهل هذا العلم مدة اربعة عشر قرناً اي الى ان ظهر كوبرنيكس في اوائل القرن السادس عشر فقوّض قواعد مذهبهِ على ما هو مشهور . ولهُ غيرَهُ عدة تصانيف منها كتابٌ في علم المناظر اي البصريات وآخر في الجغرافية وهو يُعدّ مع كتاب استرابون المقدّم ذكرهُ افضل ما ترك المتقدمون في هذا العلم . ولهُ ايضاً كتابٌ في الحِيَل وعدّة ازياجٍ في الفلك وغير ذلك ولا يزال اكثر كتبهِ يُنتفع بهِ الى هذا العهد

وعلى اثر ذلك نشأ الخلاف بين اصحاب المذاهب الفلسفية في اوائل زمن النصرانية وتمادوا في المناقشة واللجاج فافضى ذلك الى ركود تيار العلم ثم لم يزل امرهُ آخذاً في التراجع والضعف الى ان دخل ملوك رومية في الدين المسيحي سنة ٣١٣ فانتسخ كل ما كان في تلك المدرسة من العلوم والآداب وانحصر العلم كلهُ في درس القواعد الجدلية . ومضى الامر على ذلك الى ان ارتقى البطرك تيوفيلوس كرسيّ الاسكندرية فاغرى الشعب بتخريب هيكل سرابيس لانهُ كان احد ملاجئ الدين الوثني فاجتاحوا الهيكل وانتهبوا كل ما كان فيهِ وفي جملتهِ الكتب التي جمعها بطلميوس السابع على ما سلف ذكرهُ وكان ذلك سنة ٣٩١

وانقطع التدريس بعد ذلك زمناً الى ان كانت سنة ٤١٦ وكان لتيون احد اساتذة المدرسة ابنةٌ يُقال لها هيباتيا وكانت قد احكمت العلوم الرياضية والفلسفية فزُيّن لها ان تسعى في اعادة تدريس الفلسفة فوثب عليها رعاع الشعب وقتلوها شرّ قتلة وكان ذلك آخر العهد بمدرسة الاسكندرية

اما المدرسة اليهودية التي احدثها فيلون في القرن الاول بين تلك

الاضطرابات المذهبية فلم تثبت الا زمناً قصيراً ثم اضمحلت فقامت بعدها المدرسة المسيحية واشتهرت بعدة رجال منهم القديس اثناسيوس والقديس غريغوريوس النزينزي ويوليوس الافريقي وغيرهم وبقيت الى زمن الفتح الاسلامي سنة ٦٤٠ ومن ذلك الحين عفت آثار العلم في مدينة الاسكندرية واستمرت على ذلك ما ينيف على مئتي سنة ٠ ثم انهُ في سنة ٨٥٤ أنشأ فيها المتوكل العباسي مدرسةً اسلامية وجمع لها مكتبة حافلة ولم نقف على شيء من تاريخ هذه المدرسة واحوالها سوى ان الرحالة بنيامين التودالي اليهودي ذكر انها كانت باقيةً الى عهد سياحتهِ في الديار المصرية وذلك في اواسط القرن الثاني عشر للميلاد والله اعلم

التماثيل المتحركة والناطقة

لا يخفى ان صنعة التماثيل من اقدم الاشياء عهداً في تأريخ الانسانية ولا يبعد انها وُجدت قبل التصوير لان فيها محاكاة الجسم بجسمٍ مثلهِ فهي اقرب الى البديهة التي تقتضيها الاوضاع الاولى ٠ غير انهم ما زالوا يرون في التماثيل نقصاً عن بلوغ شَبَه الممثَّل حتى يتمّوها بالحركة والصوت وهذا ما طالما عُني بهِ اصحاب الحِيَل (الميكانيك) عصراً بعد عصر وقد ادركوا فيهِ بعض النجح ٠ واقدم ما جاء من ذلك في التاريخ الحمامة التي صنعها ارخيتاس احد فلاسفة اليونان في القرن الخامس قبل الميلاد ذكرها غير واحدٍ من مؤرخيهم وهي حمامة من خشب كان يطيرها في الجوّ الا ان اكثر المحققين يذهبون الى ان هذه الرواية من جملة الاساطير اليونانية لصعوبة امر الطيران في

نفسهِ فضلاً عن صنع الجهاز المحرّك فيهِ مما لا يقدَّر الوصول اليهِ في ذلك العصر البعيد • وقد أُولع اصحاب الحيَل في القرن الثالث عشر للميلاد بهذه المصنوعات وتفننوا فيها كثيراً واكثر ما كانت تُصنَع في استرَسبور ولوباك و براغ ومن ذلك ما رُوي عن ألبرتوس الكبير من مشاهير علمآء الرياضيات في القرن المذكور انهُ صنع تمثال انسان نصبهُ على باب غرفتهِ كان يفتح للقارع و يستقبلهُ مسلّماً • وذكر الاب سكوت انهُ كان في معرض الاب كِرخَر المشهور تمثال رجلٍ من هذا النوع كان ينطق ببعض كلمات• وروى الاب كِرخَر المذكور و پورتا وغاسندي وغيرهم ان يوحنا ملَر الرياضي الفلكي المعروف برَجيومنتانوس من اهل القرن الخامس عشر صنع نسراً يطير وذبابةً من حديد كان اذا اطلقها تطير في نواحي الغرفة ثم تعود الى يدهِ • واغرب ما رُوي من هذا القبيل ما ذُكر عن ڤوكنسون الفرنسويّ الحيَليّ المشهور وكان من رجال المجمع العلمي في القرن الثامن عشر من انهُ صنع تمثال بطةٍ كانت تاكل وتشرب وتغمس رأسها في المآء وتصوّت كالبط الطبيعي وتنفض جناحيها وتنتصب على قائمتيها وتلوّي عنقها يمنةً ويسرة وتلتقط الحب من الارض وتبتلعهُ وبالغوا فيها الى غير ذلك • وصنع ايضاً تمثالي رجلين احدهما كان يعزف بالمزمار فيُجري اثنتي عشرة نغمةً في غاية الضبط وكان يحرك شفتيهِ ولسانهُ على المزمار لتكييف الصوت وينقّل اصابعهُ على مقتضى النغم• والآخر كان يضرب على الطبل وفي احدى يديهِ مزمار وفي الاخرى مِضرَب فيُجري بالمزمار نغمةً من نغم الرقص ويقرع الطبل باليد الاخرى مع التوفيق بين نغم المزمار وتوقيع الطبلَ • وذكر

الكُنت دي ريفارول ان الاب ميكال صنع رأسين كبيرين من الصفر (النحاس الاصفر) كانا يتكلمان فيلفظان جُملاً كاملة لفظاً صريحاً . وذكر غيرهُ ان البارون كمبلان صنع شخصاً يتحرك حركات الانسان بواسطة لوالب في جوفهِ وجعل فيهِ آلةً تتكلم وكتب في سرّ صناعتهِ هذه كتاباً طُبع في ڤينا سنة ١٧٩١ . ويُروَى ان الاب مارينوس مرسان صنع في اوائل القرن السابع عشر ارغوناً ينطق مع النغم بالكلمات . ثم انهُ من عهدٍ قريب توصل بعض علماء الطبيعة ومنافع الاعضاء (الفسيولوجية) الى محاكاة صوت الانسان بحناجر صناعية يركبونها على آلاتٍ صوتية ومنهم من حاكى بذلك تغريد الطير وربما قلّد اصوات عدة طيور تتراسل في وقتٍ واحد

ومع ما في اكثر هذه المصنوعات من الغرابة التي قد يصعب تصديقها — ولسنا ندفع ان يكون في بعضها شيء من المبالغة — فليست مما يستحيل على ذكاء الانسان وصبرهِ مع توغلهِ في اسرار الصناعة والعلم . وقد رأينا مرةً مثل ذلك رأي العين وهو علبةٌ لطيفة كانت معروضةً في احدى اسواق بيروت سنة ١٨٧٣ فيها آلةٌ تدار بمفتاح كما تدار الساعة فلما أُديرت انفتح بابٌ صغيرٌ في اعلاها وبرز منهُ طائرٌ صغير من ذهب لهُ ريشٌ ملون باجمل الالوان فوقف على غطاء العلبة وشرع يغرد تغريداً شجياً اشبه بتغريد الكناريّ وكان في اثناء ذلك يحرّك حنكهُ ومنقارهُ ويلوي عنقهُ الى كل جهة ويموج بعض جسمهِ في بعض حتى كان كل ريشةٍ منهُ تنتفض وحدها ولبث على تغريدهِ مدة عشر دقائق ثم عاد الى جوف العلبة فانطبق الباب فوقهُ . على انا نرى كل يومٍ شيئاً من امثال هذه المصنوعات من

آلات الموسيقى المعروفة ذات الفصول المطربة والالعاب الصبيانية المتحركة وغير ذلك مما بني كلهُ على علم الحِيَل والله اعلم

القوى العاقلة في الحيوان

من قلم حضرة الاب الفاضل الخوري قسطنطين الباشا (ب م)

لا شك ان من اجل واهم مباحث الانسان بحثهُ عن نفسهِ وعمّا حولهُ من الكائنات التي تشترك معهُ في صفاتهِ وقد وقفت في مجلة الضيآء المنيرة على كلامٍ في هذا البحث لجناب الكاتب الفاضل خليل بك سعد يُتوسم من خلالهِ الحكم بالمساواة بين الانسان المخلوق على صورة الله والبهيمة وهو من الآرآء التي احب ان انزّه حضرة الكاتب عن الذهاب اليها ولذلك ارجو ان يسمح لي ببيان ما اراهُ لا ينطبق على الصواب في مقالتهِ الاولى والثانية وان يحسن فيَّ الظن باخلاصي في البحث مع اقراري بفضلهِ في قضايا اثبتها هناك لا يسعني ذكرها في هذا المقام

ثم ارجو منهُ ان لا يتعرض في هذا البحث لذكر اقوال الكتاب تنزيهاً لهُ عن التأويل الزائغ ولعدم امكان استنتاج شيء منهُ ينطبق على مرادهِ ولذلك اقصر البحث معهُ على الوجوه المعقولة فاقول

استنتج حضرة الكاتب وجود مبدأ عقلي في الحيوان كلهِ استناداً على حوادث ذكرها هناك ترجع كلها الى مبدأ حساس من غير حاجةٍ الى تكلف القول بوجود مبدأ عقلي فان هذه النتيجة اي وجود المبدأ العقلي غير لازمة

بحسب اصول القياس اذ لا وجود لها في المقدمات التي بنى عليها هذا الحكم كما سأقررهُ

ولايضاح ذلك اذكر هنا ما يشترك فيهِ الانسان والبهيمة على قدر ما يسع المقام فاقول ان للبهيمة نفس الحواس الظاهرة التي للانسان يستخدمها كلٌّ منهما لادراك ما يحيط بهِ من الاجسام الخارجة على وجه مخصوص في كلٍّ من السمع والبصر والشم والذوق واللمس وهي وان كانت عامةً في كل انواعهِ فقد تتفاوت حتى تكون في بعض الانواع اتم منها في الانسان مثل بصر الخيل وسمع الخلد وغير ذلك مما لا يخفى

ومما يشترك فيهِ الانسان والبهيمة الحواس الباطنة وهي قوى يكمل بها الادراك الباطني وهي غير الحواس الظاهرة التي تكون بمنزلة جواسيس لها في الادراك وهذه القوى خمس ايضاً وهي الحس المشترك والخيال والقوة الوهمية والمتخيلة والحافظة

فاما الحس المشترك فهو القوة التي ترتسم بها صور الجزئيات المحسوسة بالحواس الظاهرة في الدماغ مركز الحس العام فتطالعها النفس هناك وتدركها وهي بمقام معرض عام جامع لكل الصور المحسوسة حيث تقابل وتضم منها المتشابهات وتبعد المتضادات ولولا هذه القوة لما امكننا الحكم على شيء لا سلباً ولا ايجاباً فان القاضي يتعذر عليهِ الحكم ما لم يكن الخصمان حاضرين لديهِ حتى يمكنهُ ملاحظة النسبة بين الاثنين وايقاع احد طرفيها على الآخر ولا غنى عنها بالعقل الذي من شأنهِ ادراك الكليات

واما الخيال فهو قوةٌ تُحفظ بها الصور المرتسمة في الحس المشترك اذا غابت

المحسوسات وهي بمقام خزانة لهُ وبها يُعرَف من يُرى ثم يغيب ثم يحضر ولولا هذه القوة لما امكننا معرفة احد وعدِم التمييز بين الضارّ والنافع والصديق والعدوّ ولولا وجود هذه القوة في البهيمة لما بنى الطير اعشاشهُ والنمل قراهُ على اسلوب عجيب غريب ولولم تحفظ اناث النحل اضرار ذكورها لما قامت عليها ولم تبقِ منها سوى ذكرٍ يحفظ نوعها في الكيان

واما القوة الوهمية فهي قوةٌ تدرك المعاني الجزئيّة المتعلقة بالصور المحسوسة كالعداوة التي تدركها الشاة من الذئب فتهرب منهُ والمحبة التي تدركها السخلة من امها فتلوذ بها والمنفعة التي يدركها الحمار من النبات الصالح لغذآئهِ فيأكلهُ والمضرة التي يدركها من السامّ فيتجنبهُ ما لم يشتبه عليهِ في ظاهرهِ

واما الحافظة فهي القوة التي تُحفظ بها المعاني الجزئيّة التي تدركها الوهمية كالخزانة لها ونسبتها الى الوهمية نسبة الخيال الى الحس المشترك ولولا هذه القوة في الحيوان لما قضى عملاً كاملاً في كل حياتهِ فلو لم يذكر الوحش سد جوعهِ لما طلب الصيد وخاطر على نفسهِ ولو لم يذكر الطير فراخهُ لما سعى نهارهُ في طلب القوت لها

واما المتخيلة فهي القوة التي تتصرف في المعاني الجزئيّة والصور المحسوسة بالتركيب او بالتفصيل واذا أُسندت الى الوهم في احكامها وافعالها كانت بديهة غريزية وان اسندت الى العقل كانت قوة مفكرة وهي قد تكون في بعض انواع الحيوان اتم منها في الانسان حتى يكاد يخرج عن رتبتهِ التي وُضع فيها والى هذه القوة ترجع كل افعال البهيمة التي تدل في ظاهرها على تعقل وهي لا تخلو من القياس بان تقاس صورة على صورة قياساً حسياً لا دخل

فيهِ للعقل

ومما تقدم يعلم جلياً ان المبدأ الحساس اتم في البهيمة منهُ في الانسان ولذلك نرى ان البهائم تولد كاملة حاصلة على كل قواها لا تحتاج الى شيء في كل اعمالها بخلاف الانسان فانهُ يولد ضعيفاً بالطبع لا يقوى على شيء بحيث انهُ لو تُرِك وشأنهُ على وجه الارض لما بقي يوماً من الدهر لما بهِ من الحاجة والضعف لكن بفضل عقلهِ وتعاون افرادهِ حصل على هذا الكمال من حيث اتقان الاعمال واكتساب المعارف والعلوم والجد في الكشف والاختراع ولن يزال جارياً في هذا السبيل الى ما شاء الله ولذلك لا تجوز نسبة تلك الافعال التي ذكرها حضرة الكاتب الفاضل الى مبدأ عقلي من شأنهِ ادراك الكليات وهو مما تقصر عنهُ بدائه البهائم بل يجب نسبتها الى مبدإٍ حساس واحد في الانسان وسائر الحيوان

اما كلامهُ عن اللغة فعلى ما ارى انهُ قد خلط بين الاصوات والالفاظ المنطقية التي امتاز بها الانسان على ان هذه الاصوات يأتيها الانسان والبهيمة على السوآء وتدل دلالةً طبعية لا وضعية فلا دخل لها في اللغة لان الدلالة الوضعية لا بد فيها من تواطؤٍ مما يستحيل على بدائه البهيمة ولا سيما ان اكثر معاني الذوات والاحداث من الكليات لا تحضر بالعيان ولا تقع تحت الحواس فضلاً عما يلزم للاسناد من الحكم العقلي والتصرف فيهِ ولاسيما اذا كانت اللغة ذات اعراب مما تتغير بهِ اواخر الالفاظ لاختلاف موقعها في التركيب من فاعل ومفعول الى كثير من الحالات في الاسماء والافعال .

وعليهِ فلا يخرج لفظ الببغاء مهما كان واضحاً عما ذكرنا من كونهِ صادراً عن

مبدإٍ حساس . وكذلك كلامهُ في القوى الادبية لايخرج عن المبدأ الحساس كما تقدمت الاشارة اليهِ مما لا يسمح ضيق المقام بالتفصيل في بيانهِ . اما اذا كان مرادهُ بهذه القوة الذمة والضمير فهو مردود لانهُ حكمٌ عقليٌّ مدارهُ على مبادئ الآداب وهي كلية لا يقدر ان يدركها المبدأ الحساس . على انهُ لو كانت الآداب تشمل كل انواع الحيوان وهي نسبية من حيث المعرفة فاين امانة الهرّ الذي يعض احياناً اليد التي تحسن اليهِ واين ذمة الفرس التي ترفس صاحبها او خادمها واين شرف الاسد الذي يفترس خادمهُ الذي يقدم لهُ غذآءهُ واين تعقل الحية التي تسطو احياناً على من لا يؤذيها الى غير ذلك من المسائل التي لا جواب عليها الا القول بان الطبع غلاب وانهُ لا يردهُ عن جماحهِ الا العقل الذي بهِ يميز بين الخطأ والصواب

العطش

اختلفوا في العطش هل هو وجدانٌ موضعي او عام فذهب بعضهم الى انهُ موضعيٌّ وجعل محلهُ مؤخر الحلق لانهُ وجد أن العطش كثيراً ما يكفي لنقعهِ التغرغر بالمآء او ترطيب الحنجرة بقطراتٍ من حامض الليمون ونحوهِ لكن وُجد بعد الامتحان ان ذلك لا يدوم الا وقتاً قصيراً ثم لا يلبث العطش ان يعود . وقد عمد كلود برنار الى تحقيق هذه المسئلة فقطع مريء حصانٍ من وسط العنق وادخل هناك انبوباً من الزجاج جعل طرفهُ الى الاعلى بحيث اذا شرب الحصان يمرّ المآء في داخل الحنجرة ويخرج من الانبوب ثم امتحن سقيهُ فكان يشرب الى عشرين دلواً ولا يروى .

وامتحن ذلك غيرهُ بان قطع العصب المتشعب من مؤخر الحلق واللسان وما جاورهما فلم ينقطع العطش فثبت لهم من هذين الامتحانين ان العطش غير منحصر في موضعٍ بعينهِ . ومما يُثبت ان العطش وجدانٌ عامٌّ في الجسم انهُ يمكن قطعهُ بحقن الماء في الاوردة وانهُ في بعض احوال تمدد المعدة ترسَل الاشربة من طريق المستقيم وذلك مع ما مشهور من حصول الريّ بالاستحمام حتى ان البحّارة كثيراً ما اذا نفد ماؤهم يستغنون عنهُ بالانغماس في ماء البحر

ثم ان العطش عامٌّ لجميع انواع الحيوان وان تفاوتت حاجتها الى الماء وما لا يشرب منها فانهُ يجتزئ عن الشرب بما في المآكل من الرطوبة لانها لا تخلو من الماء . وللعطش في الغالب اوقاتٌ يحتاج فيها الجسم الى الماء وذلك اولاً بعد الطعام عند تحول الغذاء الى كيموس لكثرة ما يحدث هناك من الافراز الغدّيّ بانسكاب اللعاب والمفرز المعديّ والبنكرياسيّ في القناة الهضمية فتحتاج البنية الى استعاضة ما تحوّل عنها من هذه المفرزات . وثانياً بعد العرق المفرط فان الغدد العرقية تطلب عوض ما تحلّب منها . وثالثاً بعد حصول افرازٍ كثير من الكليتين كما يحدث بعد تناول الموادّ المدرّة كالديجيتال (كفّ الثعلب) ونترات البوتاس (ملح البارود) وغيرهما وكما يعرض لاصحاب المرض السكّري . ورابعاً بعد الفصد والرعاف وما اشبههُ والاعمال الجراحية لاحتياج الدم الى التعويض ومن ذلك ما يُرى من حال الجرحى في الحرب فانهُ يشتدّ عطشهم ويلحّون في طلب الماء . وخامساً عند حصول ارتشاحٍ في الموادّ المائية كما في امراض الصفاق

(البريتون) والغشآء المستبطن للصدر (البليورة) . وسادساً في حال الارضاع لفقد المرضع المآء الذي يكون في اللبن

والعطش يكون عند آكلات العشب من الحيوان اكثر منهُ عند آكلات اللحم فان آكلات العشب تحتاج في هضم ما تاكلهُ الى مقدارٍ كثير من المآء لتوفير اللعاب والعصارة المَعديّة اللذين يتمّ بهما الهضم وهي تحتاج الى ان تخزن في معدها مآءً كثيراً ولا سيما في الكرش والا جفّت الموادّ النباتية في معدها ونشأت فيها موادّ حَصَوية. وبخلافها آكلة اللحوم فانها تكون اقل عطشاً فقد ذُكر ان هرّةً لبثت ثمانية عشر شهراً لم تشرب والاسود في اقفاصها قد تبقى مدة الشتآء كلهِ بدون شرب

اما مراتب العطش فانهُ يبدأ بخبث نفس وجفافٍ ويبس في الحلق والحنجرة لا يلبث ان يمتدّ الى الفم وغشآء النِطع (سقف الحلق) ويشعر العطشان بتوهجٍ مُمِضّ ويعصب ريقهُ ويتلزج ويشعر بعسرٍ في الازدراد وضيقٍ في الحلق . واذا لم يُطفأ العطش للحال يشعر باضطرابٍ عام وتهيجٍ شديد وتعرض لهُ حمّى وقلق وكربٌ مبرّح ويسرع النبض والنَفس ويحدث لهُ بعد ذلك هذيان ثم يعقبهُ موتٌ شاقّ . انتهى محصلاً عن بعض المجلات الطبية الاجنبية

فوائد

علاجٌ لتسمين المهزولين ـ اكتشف اثنان من مشاهير الاطبآء في تورين نوعاً من العلاج لتسمين المهزولين وهو ان يُحقن تحت الجلد بمحقنةٍ

مخصوصة بشيء من زيت الزيتون ولهذا الزيت من الخواص المغذية ما لا يجهلهُ احد وقد عُلم بالاختبار انهُ اذا دخل الجسم من طريق الجلد كان اسهل امتصاصاً منهُ من طريق المعدة

وقد اجرى الطبيبان المذكوران هذا الامتحان في خمسة اشخاص مسنّين مختلفي الامزجة فتبين ان هؤلآء كلهم فضلاً عن زيادة الوزن في اجسامهم قد ظهر فيهم تحسنٌ عام في سائر احوال البنية

علاجٌ لأُبَن الرجلين (المسامير) ـ يؤخذ ٣٠ قمحة من الحامض السليسيليك و ١٠ قمحات من القنَّب الهندي و ٤ دراهم من الكلوديون وتُمزَج معاً ويُدهن منها كل يومٍ صباحاً ومسآءً

اسئلة واجوبتها

بني سويف ـ قرأت في كتاب مجاني الادب الذي جمعهُ وصححهُ حضرة الاب لويس شيخو مدرّس البيان في كلية القديس يوسف في بيروت (جزء ٦ صفحة ٥٧) قصيدة لصفي الدين الحلي يقول منها

فقد يقال عثار الرِجْل ان عثرت ولا يقال عثار الرَجْل ان عثرا

وضبط الرجل الثاني بفتح الرآء وسكون الجيم ولم اجد لهذه اللفظة معنى في كتب اللغة يوافق المقام . ثم رأيت المؤلف نفسهُ يقول في كتابهِ المسمى بعلم الادب (صفحة ٢٧٦) في الكلام على الجوازات الشعرية ما نصهُ ٧ـ تسكين المتحرك كقول المعرّي وقد اسكن الجيم من العين رَجُل (كذا . . ؟)

ثم اورد البيت المذكور فمقتضاهُ ان المراد بالرَجل هنا هو الرَجُل بضم الجيم فجآء المعنى في غاية الاضطراب بل الفساد كما هو ظاهر لانهُ لا يمكن ان مثل الحلي او المعري (على احد قولي هذا المحقق) يقابل الرَجُل بالرِجل فضلاً عن اننا لم نجد فرقاً بين عثار الرجُل وعثار الرِجل لان الرجُل يعثر برِجلهِ فما صحة ذلك كله

ثم تأذنون لي ان انقل لكم هنا ابياتاً اخر من هذه القصيدة رواها في الموضع المذكور من مجاني الادب على صورةٍ لم افهمها واظن انها لا تخلو من تحريف وهي هذه وقد صدَّرت كل واحدٍ منها برقمٍ من العدد لتسهل الاشارة اليهِ في الجواب

٢ رأى القسيَّ اناثاً عن حقيقتها فعافها واستشار الصارم الذكرا
٣ فجرَّد العزم من قبل الصفاح لها ملكٌ عن البيض يستغني بما شُهرا
٤ يكاد يقرأ من عنوان همتهِ ما في صحائف ظهر العتب قد سُطرا
٥ كالبحر والدهر في يومي ندًى وردًى والليث والغيث في يومي رِعًى وقرى
٠٠٦ كانت عداك لها دستٌ فقد صدعت حصاة وَجدك ذاك الدست فانكسرا
٠٠٧ ولا تكدّرهم نفساً مطهرةً فالبحر من يومهِ لا يعرف الكدرا
٨ ظنّوا تأنّيك عن عجزٍ وما علموا ان التأيّد فيهم يُعقبُ الظفرا
٩ احسنتهم فبغوا جهلاً وما اعتبروا بقولكم ومن كفر النعمى فقد كفرا

وهذا البيت الاخير اغربها فانهُ مع كونهِ لا يُفهم لهُ معنى قد جآء مختل الوزن كثيراً بحيث لم يمكني ان اتكهن على اصلهِ فارجو من حضرتكم الاشارة الى صحة هذه الابيات ولكم الفضل مستفيد .

الجواب ـ اما القصيدة فالصحيح انها لصفي الدين الحلي وما ورد في كتاب علم الادب من ان البيت للمعري سهوٌ . واما رواية الابيات فالصحيح في رواية عجز البيت الاول عثار « الرأي » قابلهُ بعثار الرجل من طريق الاستعارة المكنية طلباً للمشاكلة كما قال الآخر

فعثرتهُ من فيهِ ترمي لسانهُ   وعثرتهُ بالرجل تبرا على مهلِ

والصواب في رواية البيت الثاني اناثاً « في » حقيقتها . وفي الثالث « البَيض » بفتح البآء جمع بيضة بمعنى الخوذة و « شَهَرا » بصيغة المعلوم والضمير للممدوح يعني بما شهرهُ السيف يقول انهُ يتقي سيوف الاقران بسيفهِ لا بخوذتهِ لانهُ يهزمهم بهِ ولا يمكنهم من الدنوّ اليهِ حتى تعلو سيوفهم رأسهُ . وفي الرابع ظهر « الغيب » بغينٍ معجمة وبعدها مثناة تحتية وهو ظاهر . وفي الخامس في يومي « وغًى » وقرى والوغى الحرب وفي كلا شطري البيت لفٌّ ونشرٌ لا يخفى . وفي السادس حصاة « جَدّك » اي سعدك . وفي السابع ولا تكدّر « بهم » نفساً مطهرةً يعني نفس الممدوح وضمير الجماعة يعود على العدى المذكورين في قولهِ قبل

وارعب قلوب العدى تُنصَر بخذلهم   ان النبيَّ بفضل الرعب قد نُصرا

وفي الثامن « التأني » عوض « التأيُّد » وهو ظاهر كما يدل عليهِ الشطر الاول . وصحة رواية البيت الاخير

« احسنتمُ » فبغوا جهلاً وما « اعترفوا   لكم » ومن كفر النعمى فقد كفرا

آثار ادبيّة

الكافي في تاريخ مصر القديم والحديث - قد صدر المجلد الثاني والثالث من هذا المؤلَّف الخطير لمؤلفهِ الفاضل اللوذعي ميخائيل شاروبيم بك رئيس النيابة العمومية في محكمة المنصورة الاهلية سابقاً وأحد مفتشي نظارة المالية الجليلة حالاً وقد سبق لنا تقريظ المجلد الاول من هذا الكتاب الجليل في الجزء الثالث من السنة الماضية . والمجلد الثاني يشتمل على ٥٢٥ صفحة كبيرة ضمَّنها اخبار العرب في الجاهلية وتاريخ ظهور الاسلام وما يليهِ من تواريخ الخلفآء في الحجاز والشأم والعراق ومصر وما تخلل ذلك من ظهور الدولة الطولونية والاخشيدية والفاطمية والجركسية من الدول التي تعاقبت على الديار المصرية . والثالث يشتمل على ٣١٥ صفحة ابتدأها بذكر الاتراك ونسبهم وما تفرع عنهم من الممالك ثم تاريخ دولة آل عثمان الى قتوم السلطان سليم الى مصر واستخلاصها من ايدي الجراكسة وما عقب ذلك من الشؤون الى دخول نابليون الاول مصر وجلآئهِ عنها ثم ما كان بعد هذه الحوادث الى ولاية محمد علي باشا . وكل ذلك بعبارةٍ رائقة جزلة الالفاظ حسنة السبك واضحة المغزى مطّردة الاسلوب كانها نسيجٌ واحد

ولا يخفى ان هذا المصنَّف وحيدٌ في بابهِ ولا سيما مع ما فيهِ من الاحاطة والتفصيل بحيث صار المطبوع منهُ الى الآن ما ينيف على ١٢٠٠ صفحة . وسيتلوهُ الجزء الرابع واولهُ ترجمة حال محمد علي باشا ثم اخبار ولايتهِ واخبار من تولى بعدهُ من ذريتهِ الى وفاة ساكن الجنان المرحوم محمد

توفيق باشا . فنسأل الله ان يأخذ بيدهِ الى تمام هذا التأليف ونحث المتأدبين وارباب المطالعة على مقتنى هذه الذخيرة الثمينة

القواعد العمومية لتسهيل اللغة الانكليزية ـ اهديت لنا نسخةٌ من الجزء الاول من هذا الكتاب المفيد لحضرة مؤلفيهِ الاديبين مصطفى افندي توفيق من اساتذة المدارس التجهيزية ومحمد افندي صادق مدرّس اللغة الانكليزية في المدرسة العثمانية . وقد جمعا في هذا الجزء جميع الالفاظ الانكليزية التي يتشابه منطوقها ويختلف هجآؤها ومعناها مرتبةً على حروف الهجآء وهي تبلغ ما يقرب من ثماني مئة لفظة مشفوعةً بتفسيرها باللغة الانكليزية ومقابلةً بمرادفها من اللغة العربية . ولا يخفى ما في هذا النسق من الفائدة لطلبة هذه اللغة مع ما فيهِ من الاعانة على استظهار هذه الالفاظ وسهولة الوقوف على ما بينها من الفروق فنثني على حضرة المؤلفين الاديبين طيب الثنآء ونتمنى لهذا التأليف المفيد اتم الرواج

تحفة الابنآء في دروس الاشيآء ـ هو مؤلف لطيف لحضرة الاديب منقريوس افندي جرجس احد الاساتذة في مدرسة الاميركان بالقاهرة اودعهُ فوائد جمة في الكلام على اشهر صنوف المواليد الثلاثة من الحيوان والنبات والجماد مع الالمام بذكر بعض المصنوعات مما يستفيد منهُ الناشئون ويقتبسون معرفتهُ على الطريقة العلمية فنحث ارباب المدارس على اقتنائهِ ونتمنى لهُ مزيد الرواج

فكاهات

رواية

الاختين [١]

لا يجهل القرآء ما كانت عليهِ الاسكندرية في نهاية شهر اوغسطس من سنة ١٨٨٣ من وقوف الاعمال واشتغال الافكار بحركة الدوارع الانكليزية من الخارج والجنود المصرية من الداخل وما كان ثمة من المذابح والمخاوف مما كاد يجعل تلك المدينة قاعاً صفصفاً . ومما زاد في وحشة المدينة مهاجرة الكثيرين من سكانها اذ كانوا يتدافعون الى البحر تباعاً هرباً من تيار ذلك البلآء الى ان يقضي الله امراً كان مفعولاً

الا ان كثيرين لم يتسنَّ لهم الرحيل بسبب قلة ذات اليد او الانهماك في احوالٍ خاصة ولا سيما ارباب العيال ممن لا يتيسر سفرهم الا بعد استعداد طويل . وكان في شارع العطارين مسكنٌ يقطنهُ رجلٌ يدعى بطرس ... وزوجتهُ وطفلان لهُ وكان بطرس مناهزاً للخمسين من عمرهِ وهو رجل وقور الهيئة حسن الطلعة كريم الخصال كامل الصفات لم يستولِ على قلبهِ سلطان الهوى الا قُبَيل ذلك العمر فاقترن بفتاةٍ تنتسب اليهِ ورزقهُ الله منها ابنتين توأمين قبل الحادثة العرابية بقليل من الزمن . فلما اخذ القوم في

---

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

الرحيل حالت دون سفرهِ اقوى المثبّطات واهمها بقآء زوجته على فراش نفاسها والطفلتان فلم يدرِ كيف يمكنهُ نقل الثلاث ولا سيما زوجتهُ وهي في مثل تلك الحالة ولما لم يجد بدًّا من البقآء سلّم امرهُ الى الله واقام يتوقع ما يجيءُ بهِ القدر . ولما اشتدت الفتنة وتفاقم الهياج في المدينة اخذت الكرات تتطاير فيسمع لها دويٌّ عظيم يتبعهُ اعظم منهُ من سقوط الابنية ودكّ القلاع فوقع على زوجة بطرس رعبٌ عظيم وخافت على زوجها وطفلتيها واخذت تتسخط على نفسها لانها كانت هي السبب في تخلف زوجها عن السفر والتخلص من شر تلك النكبات فأثر ذلك في صحتها ولا سيما مع تواتر الرعب وارتفاع الصيحة في البلد ووجدت الحمى محلاً ضعيفاً في جسم تلك الوالدة المسكينة فتمكنت منها وقبل ان تهدأ الحال ويعود الأمن كانت قد غادرت دار الفنآء تاركةً زوجها والطفلتين . وكانت هذه الضربة الاخيرة اعظم مما يقوى بطرس على احتمالهِ فحنت ظهرهُ واذهبت رشدهُ ولبث حيران يقلب نظرهُ من جثة زوجتهِ الباردة الى طفلتيهِ ويذرف دمعاً مدراراً وهو لا يرى من يكلمهُ بكلمةٍ تدرأ عن قلبهِ الكسير ما يلقاهُ من اليم الاحزان

ولم يدرِ بطرس باي وسيلةٍ ينقل زوجتهُ الى المدفن ومن يقوم لهُ بهذا العمل فكان ذلك يزيد في حزنهِ وهمّهِ واخيراً ادخل جثة زوجتهِ الى احدى الغرف وتركها موسدة على السرير ثم اغلق الباب وخرج الى طفلتيهِ فاحتضنهما وجعل يبكي ولم يكفكف عبرتهُ حتى اخذت الطفلتان في البكآء ايضاً فدفعتهُ الغريزة الى استعمال ما يسكتهما بهِ وكان قد بقي في البيت قليلٌ من اللبن الذي كانتا ترضعان منهُ فوضعهُ في زجاجةٍ وجعل يجرعهما منهُ شيئاً فشيئاً

الى ان ارتوتا ونامتا فعاد الى بكآئهِ ومضت عليهِ ثلاثة ايام على هذه الحالة لتي فيها اشد العذاب والبلآء. ولما لم يعد يحتمل البقآء وكانت الرائحة الكريهة تنبعث من غرفة الميتة عزم على مغادرة البيت فحمل الطفلتين وخرج واسعدهُ الحظ ان رأى عربة الصحة تنقل بعض الجرحى الى المستشفى ويحرسها ضابط من الفرسان فجثا امامهُ وطلب اليهِ ان ينقلهُ معهم وادركت الشفقة قلب الضابط فوقف العربة وادخل الرجل وابنتيه ولما بلغ الجميع المستشفى وافت الراهبات يلاقين مرضاهم ومن جملتهم الطفلتان فاخذتهما الرئيسة مع والدهما الى غرفة على حدة و بعد ان علمت قصتهُ حزنت على مصابهِ ووعدتهُ خيراً ثم ارسلت من استدل على جثة الزوجة المائتة فدفنوها واقام بطرس في المستشفى مع الطفلتين وكانت الراهبة تعتني بهما اعتنآء الام باولادها

ولم تمضِ مدةٌ طويلة حتى هدأت الاحوال واستتبّ الامن فخرج بطرس بابنتيهِ من المستشفى ولما كانت الراهبة عالمة بحالهِ نقدتهُ ما تيسر وزودتهُ بكتاب توصية الى احد تجار الانكليز واوصتهُ ان يأتيها بالابنتين كلما امكنهُ لتراهما وتطمئنّ عن احوال معيشتهِ. فودعها وكلهُ ألسنة ناطقة بشكرها وكان قد اكترى لهُ بيتاً صغيراً قبل خروجهِ من المستشفى عند امرأة ارملة وعدتهُ ان تعتني بابنتيهِ فانطلق اليهِ . واخذ من ليلتهِ يسعى ورآء الشغل فقصد التاجر المذكور وقدم اليهِ كتاب الراهبة فتناولهُ وقرأهُ ووعد بطرس بالخير ثم عينهُ صرافاً في محلهِ فاقام في خدمتهِ . وكان بطرس لا يهمهُ الا الاعتنآء بابنتيهِ وقد رأى بهما سلوةً وعزآء فكان لا يصدق ان يعود من شغلهِ فيحتضنهما الى ان تناما . وكان لم ينسَ وعدهُ للراهبة بزيارتها في كل

اسبوع فلما نشأت الابنتان ادخلهما بواسطتها الى مدرسة يومية حيث كانتا تتلقيان في النهار علومهما المدرسية وفي الليل الفضائل الادبية عن والدهما

وفي سنة ١٨٩٨ بلغت الابنتان الخامسة عشرة من العمر وكانتا قد انهتا دروسهما وكان بطرس قد حسنت احوالهُ المالية فاتخذ لهُ بيتاً حسناً واقامت الفتاتان فيهِ ترتبانهِ وعادت الاصدقاء الى زيارتهم فجعل بطرس يعود شيئاً فشيئاً الى هنائهِ الماضي لولا كسر قلبهِ الذي يصعب جبرهُ . اما الابنتان فكانتا تجتهدان في استعمال كل الوسائط لراحة والدهما ورفاهيتهِ وكان اسم الواحدة على اسم والدتها سلمى واسم الثانية وداد

وكان من جملة المترددين على بيت بطرس نسيبٌ لهُ يقال لهُ سليم... وهو فتًى في الحادية والعشرين من عمرهِ حسن الهيئة جميل الخصال كان قد مال قلبهُ الى سلمى فاحبها شديداً واكثر من زيارتها وقد وطن نفسهُ على الاقتران بها ولم تجهل سلمى ما اضمرهُ سليم فاستبشرت من ذلك بمستقبل سعيد غير ان الامر بقي ضميراً مكتوماً عند كلا الطرفين . اما وداد فانها منذ رأت سليماً في اول مرة شعرت بانعطاف قلبها اليه واشتداد محبتها لهُ الا انهُ كان معرضاً عنها لا يكاد يعيرها طرفهُ ولكن ذلك لم يكن ليضعف من حبها لهُ بل كانت تزداد شغفاً بهِ وميلاً اليهِ

ولما طال الامر على ذلك وهي لا ترى منهُ الا اعراضاً عنها وميلاً الى سلمى حدثتها نفسها ذات يوم ان تصرح لهُ ببعض ما عندها فانتظرت قدومهُ في المساء ولما جاء جلس بقرب سلمى يحادثها وقد تفرغ لها بكليتهِ ووقف عليها جميع حواسهِ فرأت وداد ان لا امل لها في محادثتهِ تلك الليلة

فلبثت حيناً تساورها الهموم ثم نهضت فاستأذنت معتذرةً بان بها صداعاً اليماً يلجئها الى الرقاد ودخلت الى غرفتها حيث انطرحت على سريرها تفكر فيما عسى ان يكون . ولما انتصف الليل انصرف الزائرون وذهب كلٌّ الى رقادهِ ودخلت سلمى الى غرفتها حيث تنام وداد ايضاً ولكنها عوض ان تنام جلست الى مائدة في الغرفة وجعلت تتفكر وهي في حالةٍ قلقة . وبينا هي كذلك دعا انتباهها حركةٌ في سرير شقيقتها فنظرت ولما رأتها لا تزال مستيقظة قالت لها ألم تنامي بعد يا وداد . قالت لا ولا ارى انهُ يمكنني ذلك الآن . قالت اذا كان كذلك فهل لكِ ان تسمعي مني حادثة سرّية وتؤازريني برأيكِ ايتها الشقيقة . فاستوت وداد جالسة في سريرها وقالت هاتي ما لديكِ . فدنت سلمى وجلست الى جانبها ثم اخذت في الكلام فقالت

لا اخفي عنكِ يا شقيقتي ان سليماً كلما جاءَ يجالسني ويحادثني ولا ادري أمن معاشرتهِ اليومية ام من عوامل داخلية اراني قد ملت اليهِ و . . . واحببتهُ ولكن لم تكن محبتي لهُ الا كمحبتي لكِ غير اني كنت الاحظ انهُ يود مني غير ذلك مع انهُ لم يفه امامي بكلمةٍ في هذا الشأن . ولا اطيل الكلام على ما ذكرت بل اقول انهُ الآن بعد ان عزم على الانصراف وودع الجميع اتى فودعني ووضع في يدي هذه التذكرة وقبل ان يمهلني لانظر ما فيها اختفى فاتيت الى هنا وانا حيرى لا اعلم ماذا افعل أأعطي التذكرة لوالدي ام اقرأها ام اردها اليهِ . فقالت وداد لا ارى من الحكمة ارجاعها الى سليم بل يكون ضرباً من اساءَة الادب ان تردّيها اليهِ قبل ان تعرفي ما فيها واما اطلاع والدي عليها فاظن ايضاً انهُ لا يليق الآن لانهُ لو شاء

سليم ان يطلعهُ على ما فيها لما سلمها اليكِ سرًّا وعلى كل حال ارى ان تفضي هذا الغلاف فنطلع على ما تتضمنهُ الرسالة ثم نفعل بحسبهِ . قالت سلمى اصبتِ ايتها الشقيقة ومع ذلك فلا اراني اقوى على تلاوة هذه التذكرة فخذيها واقرئيها انتِ . فتناولت وداد التذكرة بيدٍ مرتجفة وهي متشوقة ان تطلع على ما كتب محبوبها سليم وتخاف ان تجد في الرسالة ما يقطع حبل املها منهُ فتموت غمًّا . غير انها تجلَّدت وفضت الغلاف ثم اخذت تقرأ بصوت يرتجف وقلب يخفق فاذا في الرسالة ما يأتي

حبيبتي الوحيدة ومالكة فؤادي سلمى

لم اعد استطيع الكتمان فان حبكِ قد اضنى جسدي واضعف جلدي وغادرني ذا فكرٍ حائر وجفنٍ ساهر واحسب انهُ ان كان عندكِ عشر معشار ما عندي فهو كافٍ لان ترحمي شبابي الذابل وتنعشي حياتي المائتة بكلمةٍ من فيكِ اِعلم بها انكِ تحبينني وانكِ لي . عديني ان تمني عليَّ بهذه النعمة وانكِ تستولين على عرش قلبي الذي وقفتهُ لملككِ بل وقفت كل دقيقةٍ من وجودي لكِ فهذا القلب لا يضرب الاَّ لقربكِ وهذا الدم لا يجري في عروقي الا على امل الحصول عليكِ . انتظر منكِ كلمةً او اشارةً واحدة تحقق املي وانا في موقفٍ بين السعادة ان مننتِ والشقآء ان ابيتِ فانتِ مخيرةٌ في الروح التي في يديكِ يا مالكة فؤاد محبكِ　　سليم

وكانت سلمى منهمكة في استيعاب الكلام فلم تنتبه الى اضطراب وداد وتغيُّر احوالها و بعد ان صمتت الاختان ساعةً وكلٌّ منهما تتبع سير افكارها قالت سلمى وما رأيكِ يا وداد . قالت ماذا تشعرين انتِ هل تحبين سليماً

وهل تودين ان يكون بعلاً لكِ . قالت سلمى انا لا افضل عليهِ احداً بل الحق اقول انهُ قد تملك قلبي من زمان وانا اسيرة هواهُ . فصمتت وداد ايضاً وهي تفكر وكانت تحب اختها محبة لا مزيد عليها فصممت ان تضحي نفسها في سبيل حظها كما انها لفرط محبتها لسليم لم تشأ ان تنغص عليهِ امنيتهُ فالتفتت الى اختها وقالت ارى الى تجيبيهِ الى طلبهِ وتوصيهِ ان يُعلِم والدي بالامر قبل كل شيء ثم ان يجري فيهِ على طريقةٍ رسمية . قالت ذاك اليكِ فاجيبيهِ بما ترين فكتبت وداد ما يأتي

حضرة الخواجا سليم

اخذت تذكرتك وكنت اودُّ انها وصلتني من يد والدي فها انا اردُّها اليك لترسلها ثانيةً على يدهِ واذ ذاك اجيبك خيراً ان شآء الله

ثم دفعتها الى سلمى فوقَّعت عليها وبعد ذلك اوت كلٌّ من الاختين الى فراشها فنامت سلمى نوماً هنيئاً واما وداد فلم تغمض اجفانها وفي صدرها ما يمزقهُ وفي القلب ما يسيل دمآءهُ

ولما كان اليوم الثاني مرَّ سليم امام بيت بطرس وكانت سلمى على نافذة غرفتها فحياها فرمت اليهِ رسالتها ودخلت . وكان بعد ذلك ان جآء سليم الى بطرس وخطب اليهِ ابنتهُ سلمى فلم يمانع الاب بعد سؤال ابنتهِ لما كان يعلمهُ من صفات سليم وسائر احوالهِ ولم يمضِ الكثير حتى اقترن سليم بسلمى وكان لهما فرحٌ عظيم اشترك فيهِ الجميع حتى وداد فانها كانت تضمد جراحات قلبها بما تضمرهُ من الحب الصحيح لاختها وحبيبها سليم

ثم انهُ في اواسط سنة ١٨٩٩ ظهر في الاسكندرية مرض الطاعون

وخشي الجميع امتدادهُ فاتخذت الحكومة كل الوسائط الفعالة للوقوف في طريقهِ ومنع انتشارهِ واجتهد رجال الصحة في تلافي اخطارهِ وتشديد الاوامر القاضية بحجز المصابين في المستشفى الاميري • وازداد حرص رجال الصحة وتيقظهم حتى تعدَّوا الى الخشونة والفظاظة فكانوا اذا بلغهم خبر مريض هجموا على بيتهِ قبل تحقق مرضهِ فحملوهُ قسراً عن اهلهِ وضربوا من اعترضهم وساقوهُ بالقوة الى المستشفى ولم يُعلم أكان ذلك منهم طمعاً في جزآء وعدتهم الحكومة بهِ ام لمجرد التهويل وتعظيم الامر

وكان قد مضى على اقتران سليم بسلمى تسعة اشهر وقرب وقت ولادها فشعرت ذات يوم بدنو الساعة فذهبت الى سريرها طلباً للراحة • واتفق ان طبيباً من اطباَء الصحة دخل البيت ولما رأى سلمى في سريرها زعم انها مطعونة فامر اهل البيت بالتيقظ وعدم الاقتراب منها الى ان ينهي امرها الى مجلس الصحة وتنقل المريضة الى المستشفى • فلما سمع اهل البيت ذلك هلعت قلوبهم لعلمهم بما اشتهر عن رجال الصحة من الغلظة في معاملة المرضى وكبر الامر على سلمى وخشيت ان هي نُقلت الى المستشفى في تلك الحالة ان يصيبها سوء • ولما خرج الطبيب من البيت جعل الجميع يبكون وقد ايقنوا بحلول مصابٍ كبير ولم يعلموا باي طريقة يتخلصون من تلك البلية • ولما رأت وداد ما حاق باختها وصهرها من الغم والخوف قالت عليَّ انقاذكما من هذه الورطة • انكم تعلمون مشابهتي لسلمى فسأنام محلها في سريرها حتى اذا جاَء رجال الصحة يأخذونني انا عوضاً عنها وعند الفحص يجدون اني صحيحة الجسم فلا يتأخرون عن ارجاعي اليكم وبذا ينتهي الامر • فاستحسن الجميع

رأيها ونهضت سلمى من سريرها واضطجعت وداد في مكانها . وبعد نحو ساعة قُرع الباب قرعاً عنيفاً وارتفعت الضوضاة من الخارج واذا بالطبيب داخل وبرفقتهِ اربعة رجال كانهم زبانية الجحيم فاندفعوا الى غرفة الفتاة وهمَّ اهل البيت ان يعترضوا عليهم فاسكتوهم بالشتائم والكلام القبيح وهجموا على السرير فاختطفوا الفتاة وساروا بها الى العربة فاقفلوها وذهبوا. ولما بلغت المستشفى نزعوا عنها ثيابها والقوها في سرير كبقية المرضى وارسلوا لها العلاج لتشربهُ فتمنعت قائلةً انني صحيحة الجسم لا اشكو المًا فافحصوني . فقال الطبيب كلاَّ فانكِ مصابة بالطاعون فلا بدَّ من تجرعكِ الدوآء. وخافت وداد العاقبة فعزمت ان تصرح بما فعلت ولكنها خافت على شقيقتها فسكتت وكانت كلما صرحت لهم بانها صحيحة الجسم قام الطبيب يوبخها ويعنفها ويجبرها على اخذ الدوآء . وكانت وداد في اشد الخوف والضيق ولا سيما بعد انقضاء اليوم الاول والثاني وكانت لا تذوق قوتاً ولا يسمح لها بغير العلاج . ولما جاء اليوم الثالث سألت الطبيب عن يوم خروجها فقال ان بقيتِ حيةً فلا تخرجين قبل شهر . فلما تحققت ما وصلت اليهِ وادركت الهوة العقمية التي القت بنفسها اليها خارت قواها وايقنت بدنوّ الاجل . وكان قد اثر فيها الخوف وعدم القوت فضعفت صحتها وفقدت قوتها واخذت في التأخر يوماً عن يوم ولما شعرت باقتراب الساعة الاخيرة طلبت ورقاً فكتبت الى صهرها سليم ما يأتي

حبيبي سليم

كنت اود بل كنت اشتهي الموت قبل الآن ولكن الله ابقاني الى

هذا الوقت لاذهب فدًى عن شقيقتي سلمى ولا اقطع حبل سرورك ولكن لا بد قبل موتي من اطلاعك على امر طالما عذبني كتمانهُ . احببتك يا سليم محبة الروح للروح وعبدتك في ليلي ونهاري فانك سلبت فؤادي واسرتني ولم تطلق اسري يا قاسي . بل ما لي ولهذا الكلام المؤثر اني لم اكتم خبر حبي الا رغبةً في تمام سعادتك وسعادة شقيقتي فليهنئكما الله وانما اعترفت لك بهِ الآن لأخفف بعض ما يثقل على قلبي غير اني اناشدك الله ان لا تطلع سلمى على شيءٍ منهُ . والآن قد اقتربت النهاية فسأستريح في القبر الذي تدفعني اليهِ ايدي هؤلاء الاطباء الظلمة فهم ليسوا بمجلس صحة وانما هم قضاة الموت . الوداع ايها الحبيب . عزِّ والدي الشيخ وشقيقتي واذا عرفتم قبري فزُر ضريحي وان شئت ان تكافئ محبتي فامطر على ضريحي دمعةً واحدة فبها تنطفئ نار الحب المتأججة في صدري واستودعك الله محبتك الشقية

وداد

ولما جاء الطبيب في اليوم الثاني رأى للحال على وجهها علامة الموت فاستحلفتهُ ان يوصل كتابها الى سليم ولما وعدها وحلف لها ان يقضي الامر تبسمت ثم شهقت وفاضت روحها

ولما وصل الكتاب الى يد سليم اسرع الى المستشفى واستخبر عن وداد فوجد انها قد دُفنت منذ الصباح فبلَّغ خبر الوفاة الى زوجتهِ ووالدها فندبها الاب وبكتها الاخت ولم يزل كتابها في يد سليم يطالعهُ كل يوم ويزور ضريحها حيناً بعد حين وهو يترحم على شهيدة الحب والوفاء